مجلة دراسات تاريخية ISSN : 2352-9741
المجلد :08 العدد : 01 السنة : 2020 / ص ص 101- 112

وقائع مظاهرات وجرائم 8 ماي 1945م

8 May 1945 Demonstrations and Crimes

د. زنقوفي فوزية*
جامعة 8 ماي - 1945 قالمة (الجزائر) fzenkoufi@yahoo.fr

تاريخ الارسال : 1918/12/01 تاريخ القبول : 1919/06/15 تاريخ النشر : 2020/05/19 المؤلف المرسل : د/ زنقوفي فوزية

ملخص البحث

يعتبر الثامن من ماي 1945م أحد الدعائم الهامّة لتاريخ الجزائر، لأنه كان نهاية لمرحلة تاريخية وبداية لمرحلة جديدة وضعت قطار الحركة الوطنية الجزائرية على سكّة التحرر. علما بأنّ بشاعة المجازر المرتكبة ضدّ المدنيين العزّل فاقت كل التصوّر البشري، وبالتالي فإنّ رصد هذه الانتهاكات وتصنيفها بالزمان والدكان والمسؤولية، يضع منظومة القيم والشعارات الفرنسية على المحكّ ، ولكنّ مّل المسؤولية المعنوية والقانونية للدولة الرسمية التي على هذه الانتهاكات من أجل استنزاف الثروات وتسخير الطاقات لبناء المجد الاستعماري ورفاهية المجتمع الفرنسي على حساب الشعب الجزائري. إذن كيف شكّلت لجلازر8 ماي 1945م منعرجا حاسما في إذكاء الروح الوطنية والتفكير في النضال لمسلّح للتحرّر من الاستعمار؟.

الكلمات المفتاحية: 8 ماي 1945م،بشاعة المجازر،الانتهاكات،الروح الوطنية

* المؤلف المرسل

Abstract

The eighth of May 1945 is one of the most important landmarks in the history of Algeria, because it was the end of a historic phase and the beginning of a new phase. The atrocities committed against defenseless civilians have surpassed all human perception. Thus, monitoring and categorizing these violations in time, place and responsibility put the system of values and French slogans at stake and hold the moral and legal responsibility of the official state that oversaw these violations in order to drain wealth and harness the energies to build glory. The welfare of French colonial society was done at the expense of the Algerian people. So, how did the massacres of May 8, 1945 constitute a decisive step in fueling the national spirit and in thinking of armed struggle for liberation from colonialism?.

***Key words**: May 8, 1945, the atrocities, violations, the national spirit.*

مقدمة

مازالت الدراسات التاريخية المتعلقة بتاريخ الجزائر المعاصر تحتاج إلى المزيد من البحث والتنقيب، ومن أهمّ الموضوعات التي مازالت تستقطب اهتمام الباحثين ما يتعلق بمجازر الثامن من ماي 1945م، تلك المجزرة الرهيبة التي اختلفت حولها الآراء والتساؤلات عمّن كان وراءها، وقد تبادل الطرفان الجزائري والفرنسي الاتهامات واختلفوا في التسميات، فاعتبرها الجزائريون ثورة فاشلة أو أحداثا غير مدروسة، واتفقوا على تسميتها بالمجازر، كونها حصدت الكثير من الأرواح الجزائرية بدون مبرّر، واعتبرها الفرنسيون عصيانا وجب قمعه إعادة للنظام وحفاظا على هيبة فرنسا الداخلية والخارجية.

شكّل الرصيد الاستعماري الفرنسي في الجزائر سجلّا حافلا من الممارسات القمعية التي قلّ نظيرها في التاريخ المعاصر، والتي تكسرّت أمامها كلّ الشعارات المرفوعة والقيم الحضارية. كما سجّل لنا التاريخ سلسلة متعاقبة من الانتهاكات التي تعدّ جرائم بكلّ المقاييس والأعراف الدولية بحق المدنيين في الجزائر. وإذا أخذنا هذه الأعراف والمواثيق وما انطوت عليه من قوانين ومضامين لأنواع الجرائم، نجد أنّ الانتهاكات الفرنسية ضدّ المدنيين الجزائريين كلّها مصنّفة ضمن الجرائم ضدّ الانسانية من حيث القصد والفعل والآثار بالنص الكامل. لكن كيف كانت هذه الجرائم عاملا محرّكا في بناء الفكر التحرّري والانتقال إلى الفعل الثوري؟

1. الوضع السياسي السائد في الجزائر قبيل أحداث 8 ماي 1945م

كانت المصالح الفرنسية تتابع باهتمام كبير تطوّر الحركة الوطنية الجزائرية السياسية، والتي تمثّلت مع مطلع 1945م في حركة أحباب البيان والحرية التي قادها السيد **فرحات عباس** زعيم النخبة الجزائرية، نظرا لغياب زعيم حزب الشعب الجزائري **مصالي الحاج** الذي كان مسجونا، ورئيس جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين **الشيخ محمد البشير الابراهيمي** الذي كان في الإقامة الجبرية.

حيث طغى على أفكار الحاكم العام شاتينيو***Chatigneau*** الشعور بالخوف من عودة حزب الشعب إلى النشاط السياسي، وعموما اعتبره خطرا يهدّد فرنسا، محاولا بشتّى الوسائل والأساليب سدّ الطريق أمام الأفكار الوطنية الجزائرية المطالبة بالاستقلال.

وبناءً على ذلك فالسلطات الاستعمارية بجميع تياراتها كانت متخوفة من أنصار حزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين، بحيث تحوّل هذا الخوف إلى مخطّط ثمّ إلى عمل إجرامي في حقّ أنصار الحركتين الذين تجمعوا في حركة أحباب البيان.

وكانت المظاهرات الأولى التي وقعت يوم 11 مارس قد قام بها حوالي 500 شاب مسلم تجولوا في أزقة المدينة وكانوا ينشدون الأناشيد الكشفية "الوطن" ويصيحون "تحيا الجزائر"، "يحيا العرب"، "يحيا الاستقلال". وكانت الدعوة إلى هذه المظاهرات قد تمّت أثناء حلقة الدروس التي دارت مساء 10 مارس في المدرسة القرآنية التابعة لجمعية التربية والتعليم، وكان أعضاء جمعية العلماء هم الذين نظّموا هذه المظاهرات على إثر اعتقال أحد أنصارهم المسمى **الحاج بودراو** القائم بالدعاية لصالح أحباب البيان وجمعية العلماء المسلمين في نفس الوقت.

أمّا المظاهرات الثانية يوم 19 مارس فقد نظمت بمدينة قالمة إثر جولة جمع التبرعات لصالح أحباب البيان والتي نادى فيها المتظاهرون بعبارة "يحيا مصالي الحاج"، وكان عدد المتظاهرين حوالي 200 شاب جزائري يقودهم ثلاثة من مناضلي حزب الشعب، من بينهم المسمى **بوجريدة عمار**، إلى جانب عضوين من اللجنة المحلية لأحباب البيان. وأدى التغيّر السياسي وتسارع الأحداث وانعدام الثقة في الحكومة الفرنسية إلى بروز الخلافات في صفوف حركة أحباب البيان [1].

- **مخطط شاتينيو لتشتيت حركة أحباب البيان**

لقد كان من أكثر الناس اطّلاعا على مسار الحركة الوطنية الجزائرية وأفكارها وأهدافها ومتناقضاتها المعلنة وغير المعلنة، ولذلك عمل خلال هذه الفترة على تحقيق برنامج سياسي محكم نسج خيوطه وهدف من ورائه إلى خلق رأي عامّ حول فكرته المندّدة بنشاط أنصار حزب الشعب وجمعية العلماء الملتفّين حول حركة أحباب البيان وتحضيرهم ليصبحوا كبش فداء عندما تدقّ ساعة الخطر، وعمل على عزل النخبة بجميع تياراتها لتكون لفرنسا غطاء سياسيا جزائريا في المستقبل، ولعلّ ذلك ما جعل المؤرخين يحمّلون حزب الشعب مسؤولية مجاز 8 ماي 1945م.

وتنفيذا لذلك ركز شاتينيو على ضرورة استغلال المتناقضات الموجودة داخل حركة أحباب البيان من أجل مناصرة الموالين لفرنسا من أنصار النخبة والشيوعيين ورجال الرأي، وشرع في الترويج للأفكار الفرنسية المندّدة بالعمل المتطرّف بهدف إعطاء الموالين لفرنسا ثقة بأنفسهم، كما شجّعهم على الإدلاء بآرائهم، وبالتالي أثمر جهده ونفّذ مخطّطه... [2] وهكذا فرّقت مخطّطات شاتينيو بين الجزائريين أنصار حزب الشعب وجمعية العلماء المنضمّين تحت لواء حركة أحباب البيان والجزائريين النخبويين الإندماجيين والذين وصفوا بالمتطوّرين سياسيا والذين كانوا يسايرون فرنسا وموالين لها مولاة مطلقة.

2. وقائع مظاهرات وجرائم 8 ماي 1945م

يعتبر الثامن من ماي 1945م أحد المعالم الهامة لتاريخ الجزائر، لأنه كان نهاية لمرحلة تاريخية وبداية لمرحلة جديدة وضعت قطار الحركة الوطنية الجزائرية على سكّة التحرّر.

حدثت هذه المظاهرات وهذه الجرائم الاستعمارية بالشرق الجزائري في مدن رئيسية ثلاثة (سطيف، قالمة، خرّاطة) ثم انتقلت إلى القرى والأرياف والمداشر، فكانت إبادة حقيقية اقترفتها أيادي المستعمر، فكيف كان ذلك؟

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء، خرج الجزائريون في عيد النصر على المحور للتعبير في مسيرات سلمية مرخّص لها من قبل السلطات الاستعمارية لمطالبة فرنسا بتحقيق وعودها المتمثلة في إعطاء الاستقلال للجزائر بعد مشاركة آلاف من الشباب الجزائري في حربها على الألمان. وكان والي فرنسا ليسطرادكاربونال ***LestradeCarbonnel*** الذي أعطى رخصة الاحتفال، هو الذي أمر بإطلاق النار على كلّ من يحمل علم الجزائر أو ينادي بالاستقلال [3].

خرج حوالي 8000 جزائري من المتظاهرين في مدينة سطيف يوم 8 ماي 1945م يحملون علم الجزائر وشعارات أخرى "تحيا الجزائر"، "يسقط الاستعمار"، "أطلقوا سراح مصالي". وأمام هذه الحشود الكبيرة أطلقت الشرطة الاستعمارية النار على المتظاهرين، فسقط حامل علم الجزائر شهيدا، لتتحول هذه المظاهرات إلى ثورة. وبدأ الجزائريون يقاومون قوات الأمن والمعمرين ويدافعون عن أنفسهم متصدّين لسلاح المحتلّ [4] ونتيجة لتطوّر الأحداث تدخّلت الطائرات والقوات البرية والبحرية يوم 10 ماي في عملياتها الإبادية، وكان الانفجار بمدينة خرّاطة وضواحيها، حوالي 44 قرية يصل عدد سكانها إلى ألف نسمة انغمست بيوتهم من فوق رؤوسهم ولم يتوقف القتل والتدمير بدون تمييز [5].

أمّا مدينة قالمة التي انطلقت فيها المظاهرات صباح يوم 8 ماي 1945م تحمل علم الجزائر وشعارات أخرى مثل "تحيا الجزائر"، "يسقط الاستعمار"، فكان ردّ قوات الاحتلال على مثل تلك الشعارات وحشيّا للغاية بقتل الجزائريين. لقد أعطى رئيس دائرة قالمة " **أشياري**" ***Achiary*** الأمر بقتل الجزائريين رميا بالرصاص، في حين تشكّلت إلى جانب قوات الأمن من شرطة ودرك ميليشيات مجهّزة بأسلحة أتوماتيكية وعربات عسكرية، وبدأ توقيف الجزائريين لأبسط شبهة، المئات انقادوا إلى السجون مكتوفي الأيدي والأرجل في شاحنات، وكان يتمّ إعدام الكثير منهم على حافة الطريق. حيث تصل عدد الإعدامات يوميا إلى 60 جزائري، هذا بالإضافة إلى ما كانت ترتكبه الميليشيات من إعدامات أخرى ليلا ونهارا في الشوارع وفي البيوت دون محاكمات، ثم ترمى الجثث في الطرقات أو تُحرق في الحقول [6] أو في المحرقة التي لا تزال إلى حدّ الآن قائمة بضواحي مدينة قالمة شاهدة على المجزرة التي اقترفها المحتل.

كان أشياري قد تلقّى مكالمة هاتفية يوم 8 ماي 1945م من والي قسنطينة ليسترادكاربونال يطلب منه توقيف المظاهرات بكلّ الوسائل الممكنة باعتباره المسؤول عن دائرة قالمة، ثمّ تلقّى منهُ مكالمة ثانية تحثّه على الأمر نفسه ليبدأ تنفيذ أوامر القمع والقتل دون توقف... [7].

3. نماذج من أبشع جرائم التعذيب الفرنسي

شكّل الرصيد الاستعماري الفرنسي في الجزائر سجلّا حافلا من الممارسات القمعية الرسمية والفردية التي قلّ نظيرها في التاريخ المعاصر والتي تكسّرت أمامها كلّ الشعارات المرفوعة والقيم الحضارية. وسجّل لنا التاريخ سلسلة متعاقبة من الانتهاكات التي تعدّ جرائم بكل المقاييس والأعراف الدولية بحقّ المدنيين في الجزائر، وكانت هذه الانتهاكات تنفّذ من قبل جيوش رسمية وتحظى بمباركة الساسة الفرنسيين مع تكرار حدوثها. وتنوّعت بين الإبادة والحرق الجماعي للمدنيين على اختلاف أعمارهم والتقتيل الفردي والعشوائي دون محاكمة.

ولا شكّ أنّ آثار هذه الممارسات اللاإنسانية قد انعكست على البنية الاجتماعية والثقافية والتشوّهات الفيزيولوجية واستمر تأثيرها إلى اليوم.

كما أنّ بشاعة المجازر المرتكبة والآلة العسكرية المسخرّة ضدّ المدنيين العزّل فاقت كلّ التصور البشري، وبالتالي فإنّ رصد هذه الانتهاكات وتصنيفها بالزمان والمكان والمسؤولية، يضع منظومة القيم والشعارات الفرنسية على المحكّ، ويحمّل المسؤولية المعنوية والقانونية الدولة الرسمية التي أشرفت على هذه الانتهاكات من أجل استنزاف الثروات وتسخير الطاقات لبناء المجد الاستعماري ورفاهية المجتمع الفرنسي على حساب الشعب الجزائري.

ومن هذه النماذج مجازر 8 ماي 1945م التي تعدّ جرما تعرفه كل الشعوب المعاصرة، فالجرم كان مع سبق الإصرار والإدراك في الإقدام على ارتكابه، ومن جهة ثانية أنّ عدد الشهداء كان رهيبا (45000 شهيدا) وهو رقم قياسي لم تشهده الشعوب في القرن العشرين إلّا في هيروشيما وناكازاكي مقارنة بالزمن الذي استغرقته الأحداث، ومن جهة ثالثة هو التحالف الذي أظهرته كلّ الفئات والأطراف الفرنسية على اختلاف توجّهاتها ومهامها في قمع وإبادة الشعب الجزائري، ومن جهة أخرى تظهر الإبادة الجماعية لكلّ الفئات من أطفال وشيوخ ونساء ورجال دون تمييز بالسلاح والطائرات والمدافع. إضافة إلى عملية التدمير المصاحبة للممتلكات من حقول وحيوانات ونهب ممتلكات وقصف عشوائي حتى من البحر(8).

بعد حدوث هجوم الشمال القسنطيني الذي قاده **زيغود يوسف** ليلة 19 أوت 1955م، توسّع صدى الثورة وتغيّرت السياسة الحربية الفرنسية. حيث انتقلت إلى مرحلة جديدة سميّت بمرحلة حرب الإبادة منذ سنة 1957م. بعدها شرع الاستعمار في اتباع سياسة المناطق المحرّمة، وخوّلت كلّ المهام والقرارات لما يسمى آنذاك ب " la sas" منذ يوم 13 ماي 1958م، فأصبحت الإبادة وجرائم الحرب سلوكا عاديا يمارسه الجيش الفرنسي ضدّ الشعب الجزائري عامّة، فاشتهرت مراكز التعذيب بجرائمها في حقّ الأبرياء بالتعذيب والخنق، مثلما حدث في عين يسار بتلمسان، حيث خنق 17 شخص بأكسيد الكاربون المتواجد في مزارع الكولون وفي مارسيل لاكوب بالقرب من معسكر أين قتل 23 شخصا خنقا.

وقد تضاعفت كلّ هذه العمليات في كامل القطر الجزائري كسلوك عادي يسلكه الجنود الفرنسيون لقمع الثورة والمجاهدين. كلّ هذه العمليات كانت تحظى بالدعم والعناية من قبل القيادة العليا الفرنسية التي كانت على علم بكلّ ما يجري من تعذيب، وكان شخص يدعى الرائد x هو المشرف على كلّ عمليات

التعذيب والإبادة الممارسة في حق الشعب الجزائري، والذي كان يعمل إلى جانب العقيد مورلان في المخابرات الفرنسية، وفيما يضلّ اسم الرائد x مجهولا إلى حد الآن، يبقى اسم العقيد مورلان مرتبطا بأبشع جرائم التعذيب في حقّنا.

وإلى جانب مسؤولية هؤلاء نجد أسماء أخرى ساهمت في تعذيب الجزائريين، على غرار **لاكوستوماسو**، الذين كانوا على علم بجرائم الحرب الممارسة ضدّ الشعب الجزائري، لكنهم لم يتحركوا لوضع حدّ لها. وقد حدثت نفس الجرائم في فيلا سوزين (***Susin***)من حيث نُقِلت جثث الجزائريين الذين قتلوا بعد شتّى أنواع التعذيب. ففي معركة الجزائر التي انطلقت في ديسمبر 1957م ودامت إلى غاية مارس 1958م، قُتل أكثر من 4000 شخص في مثل هذه الظروف، وكان العقيد **بيجار** يجيب دائما عندما يتعلّق الأمر بالجزائريين الذين اعتقلتهم الشرطة الاستعمارية ثم اختفوا بعد عملية التعذيب كما يلي: "إذا طلب منكم أحد بعض المعلومات بهذا الشأن، قولوا له هذا إمضاء وتوقيع العقيد بيجار".

وإلى جانب بيجار عرف العقيد **ترانكي** بميله للتعذيب، كان طويل القامة، نحيفا يشبه جنديا نازيا، شارك في الحرب العالمية الثانية بعد أن كان راعيا، ثم جُنّد في الجيش الفرنسي، فشارك في حرب الهند الصينية، حيث التقى بكلّ من ماسو وبيجار، ومنهما تعلم تقنيات التعذيب والإرهاب.

وحسب التقارير المصرّح بها فإنّ عدد المفقودين بلغ 3994 شخصا ومن بين 257 ألف معتقل لم يبقى على قيد الحياة سوى 11 ألفا.

وقد سبق لجندي فرنسي من أصل ألماني كان في اللفيف الأجنبي أن صرّح في كولون الألمانية: "رأيت بأمّ عيني الجيش الفرنسي وهو يقتل الجزائريين في رقان، فيقيّدهم في مكان وجود القنبلة الذرية ليلتقطوا صورا بطيئة لهؤلاء، حتى يتعرفوا على مدى فاعلية هذه القنبلة على البشر".

إنّ بشاعة مثل هذه التصرفات، دفعت عددا لا يستهان به من الفرنسيين للوقوف إلى جانب الشعب الجزائري [9].

4. حقائق تاريخية

كانت فرنسا تعتقد أنها بأسلوبها الوحشي هذا ستتمكن من وأد الحرية والانعتاق عند الجزائريين إلى الأبد، ولم تكن تدري أن مجازر 8 ماي 1945م ستشكّل منعرجا حاسما. ويبقى الاعتراف الفرنسي بهذه الجرائم البشعة معلّقا بالرغم من أنّ التاريخ شاهد عليها. فيقول فرحات عباس "فمهما يكن من أمر فإنّ مظاهرات الثامن ماي كانت أشدّ خطرًا من سابقاتها بأن هنا نصب الاستعمار كمينه" [10].

1.4. شهادة والي ولاية قسنطينة على تلك الإبادة اللاإنسانية

ضمن تقرير سرّي لوالي ولاية مقاطعة قسنطينة لسطرادكاربونال الذي بعث به إلى الحاكم العامّ بالجزائر بتاريخ 28 ماي 1945م حول تلك الأحداث (أحداث مدينة قالمة وضواحيها)، حيث جاء فيه ما يلي: "إنّ قمع التمرد بدائرة قالمة، كان قد نجم عنه اضطراب بلغ صيته مدينة قسنطينة والجزائر العاصمة ليصل إلى باريس، حدث ذلك يوم 8 ماي 1945م على الساعة التاسعة صباحا تقريبا، حينما أخبرتني مصالح الدرك بمدينة قالمة أنّ العلم الفرنسي بمركز مدينة

واد زناتي كان قد مُزّق من طرف الأهالي الجزائريين، وأنّ حوالي 2000 من المتظاهرين كانوا بمدينة قالمة يحملون أعلام الجزائر وشعارات مكتوب عليها "تحيا الجزائر"، "يحيا الاستقلال"، "تسقط الامبريالية"".

"تحرّكت قوات الأمن وصوّبت أسلحتها تجاه المتظاهرين ثمّ أطلقت الرصاص عليهم، إثرها ألقي القبض على 06 من المسلمين كانوا قد اتهموا بالتحريض على تلك الأحداث بأمر من رئيس دائرة قالمة أشياري". "بعدها انتقل (أي الوالي الفرنسي) إلى قالمة بتاريخ 13 ماي 1945م لمعاينة ما حدث برفقة الجنرال قائد الناحية العسكرية، وقبل وصولنا المدينة شاهدت في الحقول القريبة من المدينة كثيرا من الجثث لم يغمرها التراب بعد، والتي حسب أقوال رئيس الدائرة أشياري الذي كان برفقتنا أنها كانت نتيجة معركة بين المتمردين وقوات المدينة".

"أثناء زيارتي إلى قريتي بلخير وبومهرة بضواحي نفس المدينة، لاحظت كذلك جثثا كثيرة أخرى مرميّة في السهول والوديان... كما تمّ إعدام 9 جزائريين بأمر من رئيس دائرة قالمة بعدما تبيّن أنهم كانوا من المحرّضين على تلك الأحداث واغتيال كذلك سجناء بأمر من نفس المسؤول وفي ظروف غامضة" [11]. هذه شهادة حية لأكبر مسؤول في مقاطعة قسنطينة عن فداحة الجرائم الاستعمارية اللاإنسانية.

والعديد من التقارير السرية التي تتضمن الشهادات الفرنسية حول الإفراط في العنف والقتل والرّدع والقمع والاضطرابات الدموية.

2.4. شهادة رجال عايشوا الأحداث (فرن هيليوبوليس)

كان هذا الفرن المخصّص لصناعة الأغذية وغيرها بهيليوبوليس، قد تحوّل إلى محرقة للجزائريين خلال أحداث 8 ماي، كان هذا الفرن يملكه رجل إسمه "مارسال لافي" ***Marcel*** رجل صناعي ومندوب مالي ومستشار لبلدية هيليوبوليس، حيث تم بتواطؤ منه وبأمر من أشياري حرق عشرات المئات من الجثث الجزائرية التي أبيدت وظلت مرمية في الحقول والوديان بعد المجزرة التي ارتكبها المستعمر، فخشي من الفضيحة والصحف العالمية والرأي الدولي، فسارع إلى تغطية جرائمه بارتكاب هذه المحرقة في التاريخ الاستعماري البشع.

3.4. شهادة الطاهر ابراهيم الملقب صالح

الذي بقي على قيد الحياة بعد أن قفز من فوق الشاحنة التي كانت تحمل عشرات الجزائريين نحو المذبحة "***l'abattoir***" بقالمة، لقد حكى ما وقع في 8 ماي 1945م يقول: "كان كلّ شيء قد بدأ مع أشياري، هذا السفاك للدماء المجرم المحترف، حينما رأى علم الجزائر يرفرف في المظاهرة، أطلق النار في الهواء وأعطى الأمر للشرطة والقوات المساندة لها لإطلاق النار، حيث سقط 25 ألف شهيد من قالمة وحدها، وحينما وصل الخبر إلى سكان الضواحي بها، بدأ نداء الجهاد وصيحة الله أكبر تدوّيان في كل مكان لتحقيق الانتصار لإخوانهم الذين سقطوا، لقد كان القمع رهيبا ودون توقف، حيث كانت الإعدامات تتمّ على الملأ، ثم بدأ صيد الجزائريين في كل مكان وكانت الشاحنات العسكرية تحمل مجموعات تلو المجموعات من المساجين وغيرهم خارج المدينة وتبيدهم دفعة واحدة، ثم تحفر لهم حفرة كبيرة ويلقى بهم فيها، يخفيهم التراب".

4.4. شهادة صالح ساسي

الذي كان أحد المساجين والذي أخرج تحت الحراسة مع زملائه المساجين للقيام بدفن الجثث، التي فاحت رائحتها في كل مكان، يقول أنه وحده دفن 450 جثة إلى حدّ أنه كان يُكره على حمل أشلاء الجثث بفمه وأسنانه ويديه لدفنها.

5.4. شهادة فرحات عباس

الذي كان شاهد عيان للأحداث ومعاصرا لها، قال في خطاب له بتيزي وزو بتاريخ 1946/05/26م، لقد تمّ إعدام 800 مسلما بقالمة دون محاكمة. منذ 1945/05/09م كانت ميليشيات المدينة تجوب الشوارع وتلقي القبض على كلّ جزائري يقع في طريقها، حيث يقتل دون محاكمة، بل أنّ أكثر الشباب الذين كانت تتراوح أعمارهم ما بين 18 سنة و30 سنة قد أخرجوا من ديارهم كرها وقتلوا. لقد كان جنون الشرطة والميليشيات والجيش والدرك لا يعرف حدودا ولا تمييزا.

كانت سطيف وقالمة وخراطة كلها تعيش في رعب لا مثيل له، بل لم يكن بالإمكان حمل الجرحى إلى المستشفيات لأنّ حملهم يقود إلى النهاية المحتومة، فكانوا يُتركون يصارعون الموت. لقد كانت الإبادة حقيقية دون رحمة ودون توقّف من طرف الجيش والشرطة والمعمّرين [12].

لقد كانت انتفاضة 8 ماي 1945م وما خلّفته من مجازر رهيبة ارتكبها هذا الاستعمار الغاشم قد جعلت من الشعب الجزائري يحمل جذور الثورة المسلحة خاصة بعد أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية عام 1953م، حيث انقسم الحزب على نفسه وقام أنصار المنظمة السرية بتكوين اللجنة الثورية للوحدة والعمل التي قرّرت الخروج من النشاط السياسي والشروع في الكفاح المسلح ووضع الأحزاب أمام الأمر الواقع.

وطوال مدة الاحتلال، لم يلتفت الشعب الجزائري إلى ما كان يفرض عليه من قوانين وأنظمة ومراسيم نظرا لاعتقاده الصارخ بتفاهة هذه المراسيم وعدم انسجامها مع حرصه على الاستقلال التام.

لقد تهيأ للمشرّع الفرنسي أنّ الإسلام هو المسيحية وأنّ العربية هي الفرنسية، وأنّ جبال الأطلس هي الألب وأنّ إفريقيا هي أوروبا، ولعلّ هذا المشرّع الثمل نسي أنّ هناك بحر متلاطم الأمواج يفصل مئات الأميال بين الجزائر وفرنسا [13].

5. المنطلقات النظرية للتنمية الجزائرية

ساهمت مجازر 8 ماي 1945م في إذكاء الروح الوطنية لدى شرائح المجتمع، بما فيها الطبقة الشغّيلة والتفكير في النضال المسلح للتحرّر من الاستعمار، ممّا دفع بمناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية MTLD إلى خلق تنظيم سرّي مسلّح يدعى المنظمة السرية (OS) سنة 1947م، مع إنشاء اتحاد نقابي وطني حرّ تحت قيادة **عيسات إيدير** سنة 1952م، والذي وُجّه بمعارضة من قبل الكنفيدرالية العامة للعمل CGT التابعة للحزب الشيوعي، محاولة لصدّه عن التيار الثوري القائم الذي مهّد لاندلاع الثورة المسلحة 1954م والتظاهرات العمالية التي بدأت بإضراب عمال مخازن ميناء وهران بتاريخ 1954/12/16م عن شحن الأسلحة، ثم إضراب عمال ميناء الجزائر في نهاية عام 1954م [14].

وتمّ انفصال الاتحاد العامّ لنقابات الجزائر عن الكنفيدرالية العامة للعمل CGT في أوائل جويلية 1956م، بعد تأسيس الاتحاد العامّ للعمال الجزائريين

UGTA بتاريخ 1956/02/24م من طرف حزب جبهة التحرير الوطني، للعمل تحت شعار النضال النقابي والروح الوطنية والثورية، وتمّ اعتقال كافة أعضاء الأمانة الوطنية الأولى للاتحاد. وتوالت الاضرابات عن العمل والمشاركة في المؤتمرات والندوات النقابية الدولية بهدف تعريف عمّال العالم بالثورة الجزائرية والحصول على تأييد النقابات العمالية للقضية الجزائرية.

صاحب ظهور هذه الحقبة ظهور بروليتاريا ريفية، حيث كان يشكّل القطاع الزراعي 70% من مجموع السكان، فضلا عمّا فرضته على الأهالي من هجرة قسرية، بعد إلغاء نظام العرش وتجميع السكان الريفيين بالمحتشدات لعوامل أخرى، حيث تمّ ترحيل عروش وقبائل قرب المدن للتمكّن من محاصرتها ومراقبتها [15]، الأمر الذي أدّى إلى انقلاب ظروف معيشتهم محاولة منهم التكيّف بسرعة مع الواقع الحضري الجديد، ممّا أفرز نتائج نفسية واجتماعية تسبّبت في ظهور توتّرات وآثار سلوكية سيئة على العمالة التي سُلبت حقوقها وأُرغمت على الاندماج رغم إرادتها وحُوّلت إلى مجرّد غبار من الأفراد.

ورغم الشروع في إنتاج المحروقات سنة 1956م، منذ اكتشاف شركة تنقيب واستثمار البترول في الصحراء CREPS والغاز الجاف 1954م، لم يتمكّن المستعمر من محو النتائج والآثار الاجتماعية لأزمة الرأسمالية منذ 1930م، كما فشلت السياسة الاقتصادية الجديدة 1956م التي عمّت المجالات الزراعية والصناعية والنفطية لأسباب سياسية. ولم تشهد هذه الحقبة خطة تنموية صناعية إلّا في برنامجين فرضتهما الظروف التاريخية والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وهما:

- **برنامج أكتوبر 1946**

والذي تضمّن إنشاء وحدات صناعية امتداداً واحتياطيا للصناعات الفرنسية في الأزمات، وتمّ التركيز فيها على انتاج الصناعات الاستهلاكية، كالصابون والكبريت، وتصدير معظم المواد الخام بنسبة 90% إلى فرنسا، حيث ظهرت نسبة 40% من الصناعات الكيماوية في غرب البلاد، ومنها الأسمدة والمبيدات والغاز المضغوط والسائل وصناعة الزجاج المقعّر سنة 1945-1946م بوهران [16].

- **مخطط قسنطينة 1959م**

قرّر الجنرال ديغول تنفيذ خطّة تنموية من أكتوبر 1958م إلى 1964م تدعيما لسياسة إطالة الوجود الاستعماري. تميّزت هذه الخطة بالشمول والتكامل عن البرنامج الأوّل، حيث خصّص لقطاع التصنيع اعتماد ضئيل بما يعادل 16% فقط. وقد انصبّ اهتمام الخطّة على تحقيق الامتصاص الجزئي من البطالة الحضرية بهدف تحقيق الاستقرار الاجتماعي [17].

وقد تزامن مع تنفيذ الخطة تواجد الجيش الفرنسي المستفيد من مختلف الخدمات، ممّا أدّى إلى إدماج الاقتصاد الجزائري في الاقتصاد الفرنسي، والذي ترتّب عنه تكوين قائمة عريضة من البطالين والكادحين وخلق اقتصاد بإنتاجين مختلفين: إنتاج خارجي متقدّم وإنتاج داخلي اجتماعي منخفض جدا، وهذا نتيجة التوجّه العامّ للإنتاج الزراعي والصناعي والمنجمي. وعليه فقد صدر الأمر بإنشاء وحدات صناعية صغيرة ومتوسطة ومركبات صناعية من أجل تأسيس صناعات النفط منذ 1954م وخاصة سنة 1956م التي شهدت اكتشاف البترول بحاسي مسعود فضلا عن استغلال

المعادن ومنها الحديد، كما تمّ إنشاء بعض الصناعات الرئيسية مثل الميكانيك وصناعات الأغذية والمشروبات، والاقتصار على الصناعات الخفيفة لسدّ حاجيات الوطن كالصناعات الاستخراجية.

والواقع أنّ الشعب الجزائري كان يعيش على هامش هذه التحوّلات ويعتبر مخطّط قسنطينة أوّل برنامج يعكس تنمية اقتصادية شاملة في الجزائر، إذ كان من أهدافه انجاز 400.000 منصب عمل في مدة 5 سنوات في مجال الصناعة والبناء، وذلك من خلال الاعتماد على المواد الخام المحلية والطاقة المتوفرة، ثمّ العمالة الرخيصة والمساعدات الحكومية.

كما ساهم استغلال النفط في زيادة حجم الاستثمارات بين سنوات 1959-1960م وصادف المخطط نهايته مع فجر الاستقلال، حيث اعتمدت الحكومة الجزائرية على برامج سنوية.

- **خطط تنموية أخرى**

رغم الفقر والجهل وهجرة مئات الآلاف نحو المدن والبلدان المجاورة وبخاصة المغرب وتونس تحت وطأة الكفاح المسلّح، فإنّ استيطان الاستعمار الفرنسي جعلته يقيم بنًى تحتية ويحقّق إمكانيات للتنمية الاقتصادية مركّزة في بعض المناطق الجغرافية لفائدة المعمّرين، بالإضافة إلى إنشاء هياكل أساسية مثل الموانئ والمطارات والطرق المعبّدة وخطط السكك الحديدية وبعض منشآت النفط واستخراج المعادن، إضافة إلى المرافق الإدارية والصناعية والخدمات الأساسية للتجارة والنقل مثل المستشفيات والمدارس ودور البريد ومحطات توليد الكهرباء...الخ [18].

ونظرا لاستحواذ أقلية المستعمرين التي تمثل حوالي عُشر إجمالي السكان على 90% من الثروات، وهدم 8000 قرية من طرف الاستعمار والعمل على حشد أهاليها والبالغ عددهم 3 ملايين في محتشدات بالقرب من مداخل المدن للتمكّن من مراقبتهم، الأمر الذي أدّى إلى انخفاض نسبة العمال الزراعيين الدائمين أو الموسميّين إلى 12% وانتشار وتواصل هجرة العمالة خارج البلاد ونحو الأراضي الخصبة في إقليم التلّ التي يستحوذ عليها المعمّرون والإقامة ببيوت قصديرية بضواحي المدن، لكن كلّ شيء تحوّل إلى بور بسبب التعرّض للأوبئة والأمراض والانحرافات السلوكية، ممّا دفع بالتنظيم الثوري إبّان الاحتلال إلى تطبيق نماذج للتسيير الديمقراطي في قطاع الخدمات وقطاع الانتاج الزراعي، حيث تمّ إنجاز وحدات إنتاجية بعيدة عن مراقبة القوات الاستعمارية مثل حدائق جيش التحرير المشهورة في الونشريس بالولاية الرابعة سنة 1957م.

لقد تحوّل التنظيم العمّالي الجزائري إلى قوّة سياسية مهّدت لظهور الحركة الوطنية للمطالبة بالاستقلال الوطني من خلال تأسيس في العشرينيات "نجم شمال إفريقيا" بباريس انبثق عنها حزب الشعب الجزائري P.P.A سنة 1934م، الذي ظلّ يناضل ويطالب بالسيادة الوطنية وإقامة سلطة ديمقراطية تتولّى أمرها حكومة وطنية مستقلة، وتكوين النقابات العمّالية التي انتهت بتأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين سنة 1956م الذي قدّم تضحيات عظيمة من خلال تنظيمه للإضرابات العامة وبخاصة لسنوات 1957م و1960م، ومشاركته الفعالة في تحرير الوطن وتحقيق الاستقلال وتدعيمه لبرنامج جبهة التحرير من خلال مؤتمر الاتحاد الأوّل المنعقد بالجزائر في جانفي 1963م [19].

6. خاتمة

إنّ الخوض في موضوع الانتهاكات الفرنسية ضدّ المدنيين يحملنا على قياس هذه السلوكات وفق الحدّ الأدنى الذي تعاقدت عليه الشعوب المعاصرة، على أنها أفعال ضدّ الانسانية أو تصنّف على أنها جرائم ضدّ البشرية، فالمحكمة التاريخية هي ضمير انساني متواصل، لا تتلاشى أحكامها بالتقادم أو تتعارض مع القيم الانسانية السليمة. لذلك فإنّ الأخذ بها يجعل الشعوب الحالية مدركة لميراث دولها وأممها السابقة ومسؤولياتها الحالية. وإذا عرضنا الجرائم الفرنسية على أهمّ الأعراف القانونية المعاصرة، فإنّ الإدانة تثبت في أكثر من زاوية.

وبما أنّ هذه الجرائم حقيقة قائمة، فلا يمكن تجاوز الذاكرة الجزائرية، فهي مكوّن فكري وتاريخي يستحيل أن تتجاوزه. وهذا لا يعني أنّ الاعتراف يمحي الذاكرة الجزائرية تجاه حدث تاريخي ضخم في حقّ أجيال وضحايا، ولكن على الأقل يساهم في التمييز بين جيلين من الفرنسيين، الأول مقترف والثاني معترف، الأول استغلالي والثاني متنور، وبالتالي النظر للمستقبل بقراءة جديدة.

7. المراجع

1- يوسف مناصرية: **دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954**، دار هومة، الجزائر، 2014م، ص 255.

2- **المرجع السابق:** ص259.

3- Nicole Dreyfus: **Le massacre du 8 mai 1945 et ses conséquences dans le développement de la lutte nationale algérienne**, université 8 mai 1945, actes du 4eme colloque, D.P.U.G, 2006, p_{23} .

4- Archives Aix CAOM81:F867:**Rapport de l'union locale de Guelma adopté à l'unanimité le 20/06/1945 par les responsables et adhérents**.

5- Claude Paillât:**Vingt ans qui déchirèrent la France**, tome 1, Ed Robert Laffont, paris, 1969, p_{60}.

6- Jean Louis Planche:**le martyr des innocents Guelma mai juin 1945**, actes du 4eme colloque, D.P.U.G 2006, p_{18-19}.

7- Archives Aix CAOM81:F867:**Rapport secret du gouverneur général de l'Algérie à Mr le ministre de l'intérieur le 14 juin 1946**.

8- حميدي أبو بكر الصديق: **دراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2016م، ص12.

9- مذكرات الرائد الطاهر سعيداني: **القاعدة الشرقية –قلب الثورة النابض–**، دار الأمة، الجزائر، 2001م، ص210-213.

10- أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ، ج4، دار العرب الاسلامي، بيروت، 1996م، ص102.

11- Archives Aix, 1 CM55, **Rapport secret du gouverneur général au ministère de l'intérieur le 05 octobre 1945**.

12- صالح بن النبيليفركوس: **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي (1830-1962)**، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 2012م، ص274-275.

13- أحمد الخطيب: **الثورة الجزائرية**، دار العلم، المطبعة الأولى، بيروت، 1958م، ص104-105.

14- نبيل السمالوطي: **علم اجتماع التنمية –دراسة في اجتماعيات العالم الثالث** –، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتابة، الإسكندرية، 1978م، ص18.

15- عمرو محي الدين: **التخلف والتنمية** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1975م، ص307.

16- أندر جوندر فرانك: **علم اجتماع التنمية**، ترجمة محمد الحسيني من كتاب ميادين علم الاجتماع، ط 3، دار المعارف، مصر، 1974م، ص367.

17- **R.A.D.P le pétrole**, **les matières de base et le développement extraordinaire de l'assemblée générale des nations unies**, publié par la sonatrach, Alger, avril 1974, p_{22}.

18- محمد بالرابح: **آفاق التنمية في الجزائر** ، المطبعة الجهوية بوهران، الجزائر، 2007م، ص 42.

19- **المرجع السابق:** ص42-43.